سـورة المطففين

سورة المطففين مكية قـال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقـتادة: مدنية إلا ثماني آيات من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى آخرها، مكي، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهـما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك [١]، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومـهم هذا، وعن ابن عباس أيضا قـال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل المدينة، وكان هذا فيهم؛ كانوا إذا اشتـروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان [٢]، فلما نزلت هذه السـورة انتهوا، فـهم أوفي الناس كيلا إلى يومـهم هذا، وقال قوم: نزلت في رجل يعـرف بأبي جهـينة، واسمه عـمرو؛ كان له صـاعان يأخذ بأحـدهما، ويعطي بالآخر؛ قاله أبو هريرة رضي الله عنه [٣].

الثانـية: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ﴾ أي: شدة عـذاب في الآخرة، وقال ابن عبـاس: إنه وادٍ في جهنم يسيـل فيه صـديد، أهل النار [٤]، فهو قـوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي: الذين ينقصـون مكاييلهم وموازينهم، وروي عـن ابن عمر قـال: المطفـف: الرجل يستـأجـر المكيال وهو يعلم أنـه يحيف في كيله، فوزره عليه [٥]، وقال آخرون: التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث، وفي «الموطأ» قـال مالك: ويقال: لـكل شيء وفاء وتطفـيف، وروى عن سالم بن أبي الجـعد قـال: [قال سليمان: الصلاة بمكيال]، فمن أوفَى أُوفِي له، ومن طفف فـقد علمتم ما قال الله عز وجل في ذلك: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

الثالـثة: قـال أهل اللغة: المطفف مـأخـوذ من الطفيف، وهو القلـيل، والمطفف هو المقل حق

---

(١) صحيح: النسائي (٦٧٤) في التفسير، وصححه الألباني هناك..

(٢) هذه رواية البيهقي في الدلائل كما في الدر المنثور (٦/ ٥٣٦).

(٣) عزاه السيوطي بنحوه في الدر (٦/ ٥٣٧، ٥٣٨) لابن النجار في تاريخه.

(٤) سبق تضعيفه.

(٥) رواه الحاكم (٢/ ٥٦٢) وسكت عنه.

صاحبه بـنقصانه عن الحق، في كيل أو وزن، وقال الزجاج: إنما قـيل للفاعـل من هذا مطفـف؛ لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخـفيف، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه، وطفاف المكوك وطِفافه بالكسر والفتح: ما مـلا أصباره، وكذلك طف المكوك وطفه؛ وفي الحديث: «كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه » [١]، وهو أن يقرب أن يمتلئ فلا يفـعل، والمعنى بعضكم من بعض قريب، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقـوى، والطُّفَافُ والطُّفَافة بالضم: ما فوق المكيال، وإناء طَفَّانُ: إذا بلغ الكيل طفـافه؛ تقول منه: أطففت، والتطفـيف: نقص المكيال وهو ألا تملأه إلى أصباره، أي: جـوانبه؛ يقال: أدهقت الكأس إلى أصـبارها ،أي: إلى رأسها، وقول ابـن عمر حين ذكر[أن] النبي ﷺ سبق [بيت] الخـيل: كنت فارسا يـومئذ فسـبقت الناس حـتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق [٢]، حتى كاد يساوي المسجد، يعني: وثب بي.

الرابعـة :المطفف: هو الذي يخـسـر في الكيل والوزن، ولا يوفي حـسب مـا بيناه؛ وروى ابن القاسم عن مالك: أنه قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فقال: لا تطفف ولا تخلب [٣]،ولكن أرسل وصب عليه صبا، حتى إذا استوى أرسل يدك ولا تمسك [٤]، وقال عبد الملك بن الماجشون: نهى رسول الله ﷺ عن مسح الطفاف [٥]، وقال: إن البركة في رأسه، قال: وبلغني أن كيل فرعون كان مسحا بالحديدة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ قال الفراء: أي: من الناس يقال: اكتلت منك: أي: استوفيت منك ويـقال اكتلت ما عليك: أي: أخذت ما عليك، وقـال الزجاج: أي: إذا اكتالوا من الناس اسـتوفـوا عليهم الكيل؛والمعنى: الذيـن إذا استوفـوا أخذوا الزيادة ، وإذا أوفـوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم، الطبري: ﴿عَلَى﴾ بمعنى عند.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾.

فيه مسألتان :

الأولى :قوله تـعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: كـالوا لهم أو وزنوا لهم، فحـذفت اللام، فتعدى الفعل فنصب؛ ومثله نصحتك ونصحت لك، وأمرتك به وأمرتكه؛ قاله الأخفش والفراء، قال الفراء: وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين إلى الموسم المقبل،قال: وهو من كـلام أهل الحجـاز ومن جاورهم من قـيس، قال الزجـاج: لا يجوز الوقف على «كـالوا» و«وزنوا» حتـى تصل به «هم» ،قال: ومن الناس من يجـعلها توكـيدا، ويجـيز الوقف على «كـالوا» و«وزنوا» والأول الاختيـار؛ لأنها حرف واحد، وهو قول الكسـائي، قال أبو عبيد: وكـان عيسى بن عمـر يجعلها حـرفين،ويقف على «كالوا» و«وزنوا» ويـبتدئ :﴿هُمْ يُخْسِرُونَ﴾ قال: وأحـسب قراءة

(١) ضعيف الإسناد وهو حسن : رواه أحمـد والطبراني وفيه ابن لهيعة ، وفيه لين وبقيـة رجال وثقوا كما في المجمع (٨/ ٨٤) للهيثمي .

(٢) متفق عليه : البخاري (٢٨٦٨) في الجهاد والسير ،ومسلم (١٨٧٠/ ٩٥) في الإمارة.

(٣ ـ ٥)أحكام القـرآن (٤/ ١٩٠٧) وحديث الماجـشون هذا ضـعيف جـدًا ؛ لأن بينه وبين النبي عليه السـلام أزمنة طوالاً.

حمزة كـذلك أيضا، قال أبو عبـيد: والاختيار أن يـكونا كلمة واحدة من جهتـين: إحداهما: الخط؛ وذلك أنهم كتبوهمـا بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لـكانتا «كالوا» و«وزنوا» بالألف، والأخرى: أنه يقال: كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك، ووزنتُ لك، وهـو كلام عربي؛ كما يقـال: صدتُك وصدتُ لك، وكـسبـتك وكسبت لك، وكذلك شـكرتك ونصحـتك ونحو ذلك، قـوله: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون؛ والعرب تقـول: أخسرت الميزان وخسرته، و« هم » في موضـع نصب، على قراءة العامة، راجع إلى الناس، تقديره: « وإذا كالوا » النـاس أو وزنوهم يخسرون. وفيه وجهـان: أحدهما : أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل، كما قال:

ولقَدْ جَنَيتُكَ أَكْمُؤًا وعَسَاقِلاً ولقد نهيتُك عن بناتِ الأَوبَرِ

أراد: جنيت لك، والوجـه الآخر: أن يكون على حـذف المضاف، وإقـامة المضـاف إليـه مقـامه، والمضاف هو المكيل والموزون [١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهـما: إنكم معاشر الأعـاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال والميزان، وخص الأعاجم، لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا، وكانا مـفرقين في الحـرمين؛ كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يـكيلون، وعلى القراءة الثـانية: «هُمْ» في موضع رفع بالابتـداء؛ أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فهم يخـسرون، ولا يصح؛ لأنه تكون الأولى ملغاة ليس لها خبر، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها: وإذا كالوا هم ينقصون، أو وزنوا هم يخسرون.

الثانية: قال ابن عبـاس : قال النبي ﷺ « خمس بخمس: ما نقض قـوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفـقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا فيهم الطاعون، ومـا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا مـنعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر » خرجه أبو بكر البـزار بمعناه، ومالك بن أنس أيضا من حديث ابن عمـر وقد ذكرناه في كتاب « التذكرة » [٢]، وقال مالك بن دينار: دخلت على جار لي قـد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. فـقلت: ما تقول؟ أتهجر؟ قال: يا أبا يحيـى، كان لي مكيالان، أكيل بأحدهما، وأكتال بالآخر، فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، حتى كسرتهما، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخـر ازداد عظما، فمات من وجعه [٣] وقال عكرمة: أشهد على كل كيال أو وزان أنه في النار، قـيل له: فـإن ابنك كـيـال أو وزان، فـقـال: أشـهـد أنه في النار [٤] قال الأصمـعي: وسمـعت أعرابيـة تقول: لا تلـتمس المروءة ممن مـروءته في رؤوس المكاييل، ولا ألسنة الموازين، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقـال عبـد خير: مـر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعـفران وقد أرجـح، فأكفـأ الميزان، ثـم قـال: أقم الـوزن بالقسط؛ ثم أرجـح بعـد ذلك

---

(١) سبق عند الآية (٩) من سورة الرحمن .

(٢) صحيح بشاهده :إنما رُوى عن ابن عمر كمـا في صحيح الجامع (٧٩٧٨) وهذه رواية الطبراني في الكبير ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما في المجمع (٣/ ٦٥) وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزى لَيّنه الحاكم وبقية رجاله موثقون .

(٣) رواه الذهبي (ص٢٧٦) في الكبائر بنحوه وتهجر تهذى اللسان. « هجر».

(٤) رواه الطبري (٣٠/ ٩٦) في تفسيره .

ما شئت، كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها، ويفضل الواجب من النفل، وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العَرَقَ ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم(١)، وقد روي أن أبا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي ﷺ إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، فقال أبو هريرة: فوجدناه في صلاة الصبح فقرأ في الركعة الأولى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] وقرأ في الركعة الثانية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال أبو هريرة: فأقول في صلاتي: ويل لأبي فلان، كان له مكيالان إذا أكتال اكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص(٢).

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون ببالهم، ولا يخمنون تخمينا، ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فمسؤولون عما يفعلون.

والظن هنا بمعنى اليقين؛ أي: ألا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظن بمعنى التردد، أي: إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلا ظنوه، حتى يتدبروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأحوط ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ شأنه وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾.

فيه أربع مسائل:

الأولى: العامل في ﴿يَوْمَ﴾ فعل مضمر، دل عليه ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾، والمعنى: يبعثون ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ويجوز أن يكون بدلاً من «يوم» في ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو مبني، وقيل: هو في موضع خفض؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن، وقيل: هو منصوب على الظرف أي: في يوم، ويقال: أقم إلى يوم يخرج فلان، فتنصب يوم، فإن أضافوا إلى الاسم فحينئذ يخفضون ويقولون: أقم إلى يوم خروج فلان، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: إنهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم.

الثانية: وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابيا قال له: قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين؛ أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن، وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظم الذنب، وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف، وترك القيام بالقسط، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل.

الثالثة: قرأ ابن عمر: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فبكى حتى سقط،

---

(١) صحيح: وسيأتي مرفوعًا.

(٢) صحيح: الهيثمي (٧/ ١٣٥) في المجمع وعزاه للبزار وقال: «رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن مسعود الجحدري وهو ثقة».

وامتنع من قراءة ما بعـده، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمنهم من يبلغ العرق كـعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ أذنيه، حتى إن أحـدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع » (١)،وروى ناس عن ابن عبـاس قال: يقـومون مقـدار ثلاثمائة سنة، قـال: ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة، وروي عـن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «يقومون ألف عام في الظلمة » (٢) ،وروى مالك عن نافع عن ابن عـمر عن النبي ﷺ قال: « يوم يقـوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم ليقـوم في رشحه إلى أنصاف أذنيه » (٣)،وعنه أيضا عن النبي ﷺ: « يقوم مائة سنة » (٤)، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ لبشيـر الغفاري: « كيف أنت صـانع في يوم يقوم الناس فيه مـقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتـيهم فيه خبـر، ولا يؤمر فيه بأمـر » قـال بشير: المستعان الله (٥).

قلت : قد ذكـرناه مرفـوعا من حديث أبي سـعيد الخـدري عن النبي ﷺ: « إنه ليخـفف عن المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا » (٦) في ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ (٧)، وعن ابن عباس: يهون على المؤمنين قـدر صلاتهم الفريضة (٨)، وقيل: إن ذلك المقام على المؤمن كزوال الشـمس؛ والدليل على هذا من الكتاب قـول الحق: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٣] ثم وصفهـم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] جعلنا الله منهم بفـضله وكرمه وجـوده ومنه ، آمين، وقيل: المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين؛ قاله ابن جبير (٩) وفيـه بعد؛ لما ذكـرنا من الأخبـار في ذلك، وهي صحيـحة ثابتـة، وحسـبك بما في صحيـح مسلم والبخـاري والترمذي من حديث ابن عـمر عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: « يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه » (١٠)، ثم قيل: هذا القيام يوم يقومون من قبورهم، وقيل: في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا، وقال يزيد الرشك: يقومون بين يديه للقضاء.

الرابعة : القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالإضافة إلى عظمته وحقه، فأما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف فيه الناس؛ فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، وقد روي أن النبي ﷺ قام إلى جعفر ابن أبي طالب واعتنقـه، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليـه، وقول النبي ﷺ للأنصار حين

(١) ضعيف هكذا : هذه من أغلاط المحدثين ،وانظر:الحاكم (٢/ ٥٦٢) .
(٢) هذا ما لم أجده .
(٣) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٨) في التفسير ، ومسلم (٢٨٦٢) في الجنة .
(٤) ضعيف : الطبري (٣٠/ ٩٨) في تفسيره من طريق ابن حميد وهو متهم بالكذب .
(٥) في إسناده نظر : الطبـري (٣٠/ ٩٩) في تفسيره بسند فيه عبـد السلام بن عجلان ، وقـال أبو حاتم : وهو يكتب حديثه ، وتوقفوا فيه ، ففيه نظر ، ورواه ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٨٢).
(٦) حسن : وقد سبق
(٧) عند الآية (٤) من سورة الحج
(٨) انظر: قبل السابق .
(٩، ١٠) صحيحان : وقد سبقا .

طلع عليه سعد بن معاذ: « قوموا إلى سيدكم » [١]، وقال أيضا: « من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مـقعده من النار » [٢]، وذلك يرجع إلى حال الرجل ونيـته، فإن انتظر ذلك واعتقـده لنفسه [حقا]، فهو ممنوع، وإن كان على طريق البشاشة والوصلة فإنه جائز، وخاصة عند الأسباب، كالقدوم من السفر ونحوه، وقد مضى في آخر سورة يوسف شيء من هذا [٣].

﴿ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ قال قوم من أهل العلم بالعربية: ﴿كَلاَّ﴾ ردع وتنبيه، أي: ليس الأمر عـلى ما هم عليه من تـطفيف الكيل والميـزان، أو تكذيب بالآخرة، فليـرتدعوا عن ذلك، فهي كلمة ردع وزجر، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾، وقال الحسن: ﴿كَلاَّ﴾ بمعنى حقا، وروى ناس عن ابن عباس ﴿كَلاَّ﴾ قال: ألا تصدقون؛ فعلى هذا: الوقـف لرب العالمين، وفي تفسير مـقاتل: إن أعـمال الفـجـار، وروى ناس عن ابن عبـاس قـال: إن أرواح الفجـار وأعمـالهم ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ [٤]، وروى ابن أبي نجيح عن مـجاهد قال: سـجين صخرة تحت الأرض السـابعـــة، تقلب فيجعـــل كتاب الفجار تحتها [٥]، ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب؛ قال كعب: تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس، وعن كعب أيضا قال: سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعـة، مكتوب فيهـا اسم كل شيطان [٦]، تلقى أنفـس، الكفار عندها، وقـال سعيد بن جـبير: سجين تحت خد إبليس [٧]، يحيى بن سـلام: حجر أسود تحت الأرض، يكتب فـيه أرواح الكفار، وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السابعة الـسفلى، وفيها إبليس وذريته [٨]، وعن ابن عباس قال: إن الكافر يحضره الموت، وتحـضره رسل الله، فلا يستطيعون لبـغض الله وبغضهم إياه، أن يؤخـروه ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه، ورفعوه إلى ملائكة العذاب، فأروه ما شـاء الله أن يروه من الشـر، ثم هبطوا به إلى الأرض السـابعـة، وهي سـجين، وهي آخـر سلطان إبليس، فأثبـتوا فيهـا كتابه [٩]، وعن كعب الأحـبار في هذه الآية قال: إن روح الفاجـر إذا قبضت

(١، ٢) صحيحان : وقد سبقا .

(٣) الآية (١٠٠) من سورة يوسف .

(٤) انظر: ما بعد التالي .

(٥) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٣٠/ ١٠١) في تفسيره .

(٦) حسن إلى ابن عبـاس : الطبري (٣٠/ ١٠٠) في تفسيره، وانـظر: بقية الأقوال هناك ،وقول كـعب هذا ضعيف جدًا ، فقـد رواه الطبري (٣٠/ ١٠١) في تفسيره، عن طريق شـمر عن ابن عباس وهو منقطع ، وشـيخه ابن حميد متهم بالكذب .

(٧) ضعيف المتن : وإن صح السند فخد إبليس هذا لم يرد به النص .

(٨) مرسل : ولا سند له من الوحى .

(٩) روى مرفوعًا من حديث البراء بن عازب سبق تصـحيحه : وذكره السيوطي (٦/ ٥٣٧) في الدر وعزاه لابن المنذر وابن المبارك .

يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها، فتدخل في سبع أرضين، حتى ينتهى بها إلى سجين، وهو خد إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رق، فيرقم فيوضع تحت خد إبليس، وقال الحسن: سجين في الأرض السابعة، وقيل: هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم، قال مجاهد: المعنى عملهم في الأرض السابعة لا يصعد منها شيء، وقال: سجين صخرة في الأرض السابعة [١]، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: « سجين جب في جهنم وهو مفتوح » وقال في الفلق: « إنه جب مغطى » [٢]، وقال أنس: هي دركة في الأرض السفلي، وقال أنس: قال النبي ﷺ: « سجين أسفل الأرض السابعة » [٣]، وقال عكرمة: سجين: خسار وضلال؛ كقولهم لمن سقط قدره: قد زلق بالحضيض، وقال أبو عبيدة والأخفش والزجاج: ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ لفي حبس وضيق شديد، فعيل من السجن؛ كما يقول: فسيق وشريب؛ قال ابن مقبل:

ورُفقةٍ يضربون البَيْضَ ضاحيةً ضَرْباً تواصتْ به الأبطالُ سجّينا

والمعنى: كتابهم في حبس؛ جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم، أو لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان، وقيل: أصله سجيل، فأبدلت اللام نونا، وقد تقدم ذلك، وقال زيد بن أسلم: سجين في الأرض السافلة، وسجيل في السماء الدنيا، القشيري: سجين: موضع في السافلين، يدفن فيه كتاب هؤلاء، فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون، وهذا دليل على خبث أعمالهم، وتحقير الله إياها؛ ولهذا قال في كتاب الأبرار: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت ولا قومك، ثم فسره له فقال: ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أي: مكتوب كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى، وقال قتادة: ﴿ مَّرْقُومٌ ﴾ أي: مكتوب، رقم لهم بشر: لا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد [٤]، وقال الضحاك: مرقوم: مختوم، بلغة حمير؛ وأصل الرقم: الكتابة؛ قال:

سأَرقُمُ في الماء القَراحِ إليكُمُ على بُعْدِكُم إن كان للماء راقِمُ

وليس في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربيا، كما لا يدل في قوله: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ [القارعة] بل هو تعظيم لأمر سجين، وقد مضى في مقدمة الكتاب - والحمد لله - أنه ليس في القرآن غير عربي.

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين، ثم بين تعالى أمرهم فقال: ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد، ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أي: فاجر جائر عن الحق، معتد على الخلق في معاملته إياهم وعلى نفسه، وهو أثيم في

(١) صحيح إليه : الطبري (٣٠/ ١٠٢) في تفسيره .

(٢) منكر لا يصح : رواه الطبري (٣٠/ ١٠١) في تفسيره ،وانظر: ضعيف الجامع (٤٠٣٣).

(٣) ضعيف : مرفوعًا ومقطوعًا : ورواه الطبري (٣٠/ ١٠١) في تفسيره ضعيفًا من قول قتادة بسند فيه أبو هلال الراسبى وهو ضعيف .

(٤) صحيح إلى قتادة : الطبري (٣٠/ ١٠٢) في تفسيره.

ترك أمر الله، وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونظرائهما لقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾وقراءة العامة «تُتْلَىٰ» بتاءين، وقراءة أبي حيوة وأبي سماك وأشهب العقيلي والسلمي« أذا يتلى» بالياء، ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أحاديثهم وأباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها، وأحدها أسطورة وإسطارة، وقد تقدم.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا﴾: ردع وزجر، أي: ليس هو أساطير الأولين، وقال الحسن: معناها حقا ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾، وقيل: في الترمذي: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد، فيها، حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ »، قال: هذا حديث حسن صحيح [١]، وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشي الذنوب قلبه [٢]، قال مجاهد: هي مثل الآية التي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١] الآية [٣]، ونحوه عن الفراء؛ قال: يقول: كثرت المعاصي منهم والذنوب، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها، وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكهف ورفع كفه، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذنب الذنب انقبض، وضم أخرى، حتى ضم أصابعه كلها، حتى يطبع على قلبه، قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٤]، ومثله عن حذيفة رضى الله عنه سواء [٥] وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخذة الإبرة، ثم صار إذا أذنت ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل، أو كالغربال، حتى لا يعي خيرا، ولا يثبت فيه صلاح، وقد بينا في «البقرة » القول في هذا المعنى بالأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ، فلا معنى لإعادتها، وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله أعلم بصحته؛ قال: هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم، وهو الذي يلبس في الحرب [٦]، قال: وقال آخرون: الران: الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل، وهذا مما لا يضمن عهدة صحته، فالله أعلم، فأما عامة أهل التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا، وكذلك أهل اللغة عليه؛ يقال: ران على قلبه

---

(١) حسن صحيح : الترمذي (٣٣٣٤) فى التفسير ،وحسنه الألبانى (١٦٧٠) فى صحيح الجامع.

(٢ ـ ٤) صحاح إلى مجاهد : الطبري (٣٠/ ١٠٤، ١٠٥) فى تفسيره .

(٥) سبق قبل ذلك : وانظر: الدر المنثور (٦/ ٥٣٩) للسيوطي، وعزاه للبيهقي .

(٦) هذه أسانيد ضعاف .

ذنبه يرين رينا ورِيُونا ،أي: غلب، قال أبو عبيدة في قوله: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غلب؛ وقال أبو عبيد: كل ما غلبك فقد ران بك، ورانك، وران عليك؛ وقال الشاعر:

وكَمْ رانَ مِن ذنبٍ على قلبِ فاجرٍ فتابَ مِن الذنبِ الذي رَانَ وانجلَى

ورانت الخمر على عقله، أي: غلبته، وران عليه النعاس: إذا غطاه؛ ومنه قول عمر في الأسيفع - أسيفع جهينة : فأصبح قد رين به، أي: غلبته الديون، وكان يدان؛ ومنه قول أبي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا، فقال:

ثم لما رآه رانتْ بِهِ الخم رُ وأنْ لا تَرِينَه بِاتقاءِ

فقوله: رانت به الخمر، أي: غلبت على عقله وقلبه، وقال الأموي: قد أران القوم فهم مرينون: إذا هلكت مواشيهم أو هزلت، وهذا من الأمر الذي أتاهم مما يغلبهم، فلا يستطيعون احتماله، قال أبو زيد يقال: قد رين بالرجل رينا: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له به. وقال أبو معاذ النحوي: الرين: أن يسود القلب من الذنوب، والطبع: أن يطبع على القلب، وهذا أشد من الرين، والإقفال أشد من الطبع. الزجاج: الرين: هو كالصدأ يغشي القلب كالغيم الرقيق، ومثله الغين، يقال: غين على قلبه: غطي، والغين: شجر ملتف، الواحدة غيناء، أي: خضراء، كثيرة الورق، ملتفة الأغصان، وقد تقدم قول الفراء: إنه إحاطة الذنب بالقلوب، وذكر الثعلبي عن ابن عباس﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾: أي: غطى عليها، وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله، وقرأ حمزة والكسائي والأعمش وأبو بكر والمفضل :« رين » بالإمالة؛ لأن فاء الفعل الراء، وعينه الألف منقلبة من ياء، فحسنت الإمالة لذلك، ومن فتح فعلى الأصل؛ لأن باب فاء الفعل في «فَعَلَ» الفتح، مثل كالَ وباعَ ونحوه، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ووقف حفص ﴿بَلْ﴾ ثم يبتدئ ﴿رَانَ﴾ وقفا يبين اللام، لا للسكت.

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ أي: حقا ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وقيل: ﴿كَلاَّ﴾ ردع وزجر، أي: ليس كما يقولون، بل ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون ، وقال جل ثناؤه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، وقال الشافعي: لما حجب قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا. وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي: عن كرامته ورحمته ممنوعون، وقال قتادة: هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وعلى الأول الجمهور، وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: ملازموها، ومحترقون فيها غير خارجين منها، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] و﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ويقال: الجحيم: الباب الرابع من النار، ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم أي: تقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسل الله في الدنيا.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ﴿كَلاَّ﴾ بمعنى: حقا، والوقف على ﴿تُكَذِّبُونَ﴾، وقيل أي: ليس الأمر كما يقولون ولا كما ظنوا، بل كتابهم في سجين، وكتاب المؤمنين في عليين، وقال مقاتل: كلا، أي: لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم، قال ابن عباس: أي: في الجنة، وعنه أيضا قال: أعمالهم في كتاب[عند] الله في السماء، وقال الضحاك ومجاهد وقتادة: يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين [١]، وروى ابن الأجلح عن الضحاك قال: هي سدرة المنتهى، ينتهي إليها كل شيء من أمر الله لا يعدوها، فيقولون: رب، عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيأتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بأمانه من العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ [٢]، وعن كعب الأحبار قال: إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لهم من تحت العرش رق فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون [٣]، وقال قتادة أيضا: ﴿فِي عِلِّيِّينَ﴾ هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى [٤]، وقال البراء بن عازب: قال النبي ﷺ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش»[٥]، وعن ابن عباس أيضا: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق بالعرش، أعمالهم مكتوبة فيه، وقال الفراء: عليون: ارتفاع بعد ارتفاع، وقيل: عليون أعلى الأمكنة. وقيل: معناه علو في علو مضاعف، كأنه لا غاية له؛ ولذلك جمع بالواو والنون، وهو معنى قول الطبري، قال الفراء: هو اسم موضوع على صفة الجمع، ولا واحد له من لفظه؛ كقولك: عشرون وثلاثون، والعرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية، قالوا في المذكر والمؤنث بالنون، وهي معنى قول الطبري، وقال الزجاج: إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع، [لأنه على لفظ الجمع] كما تقول: هذه قنسرون، ورأيت قنسرين، وقال يونس النحوي: واحدها: عليٌّ وعلية، وقال أبو الفتح: عِلِّيين: جمع على، وهو فعيل من العلو، وكان سبيله أن يقول: علية كما قالوا للغرفة: علية؛ لأنها من العلو، فلما حذف التاء من علية عوضوا منها الجمع بالواو والنون، كما قالوا في أرضين، وقيل: إن عليين صفة للملائكة، فإنهم الملأ الأعلى؛ كما يقال: فلان في بني فلان؛ أي: هو في جملتهم وعندهم، والذي في الخبر من حديث ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة من كذا، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟ فيقال أشرف

(١) حسن: الطبرى (٣٠/ ١٠٧) فى تفسيره.

(٢) مرسل: ولا سند للضحاك هنا، ورواه السيوطي(٦/ ٥٤١) فى الدر وعزاه لعبد بن حميد، والطبري (٣٠/ ١٠٨) في تفسيره وفيه ضعف.

(٣) حسن: وقد سبق.

(٤) صحيح: الطبري (٣٠/ ١٠٨).

(٥) لم أجده، وإنما روى بمعناه فى حديث البزار الذى سبق تخريجه صحيحًا.

رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق»[١]، وفي خبر آخر: « إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الدري في أفق السماء »[٢] يدل على أن عليين اسم الموضع المرتفع، وروى ناس عن ابن عباس في قوله: ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾ قال: أخبر أن أعمالهم وأرواحهم في السماء الرابعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي: ما الذي أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟ على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة، ثم فسره له فقال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾، وقيل: إن ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ليس تفسيرا لعليين، بل تم الكلام عند قوله: ﴿عِلِّيُّونَ﴾ ثم ابتدأ وقال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: كتاب الأبرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار؛ قاله القشيري، وروي: أن الملائكة تصعد بعمل العبد، فيستقبلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم: إنكم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه أخلص لي عمله، فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد، فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سجين.

قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ أي: يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء من الملائكة، وقال وهب وابن إسحاق: المقربون هنا إسرافيل عليه السلام، فإذا عمل المؤمن عمل البر، صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الأرض، حتى ينتهي بها إلى إسرافيل، فيختم عليها ويكتب فهو قوله: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي: يشهد كتابتهم.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ أي: أهل الصدق والطاعة، ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: نعمة، والنَّعمةُ بالفتح: التنعيم؛ يقال: نَعَّمه الله وناعَمَه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى، أي: إن الأبرار في الجنات يتنعمون ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي الأسرة في الحجال. ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي: إلى ما أعد الله لهم من الكرامات؛ قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد[٣]، وقال مقاتل: ينظرون إلى أهل النار، وعن النبي ﷺ: « ينظرون إلى أعدائهم في النار »[٤] ذكره المهدوي، وقيل: على أرائك أفضاله ينظرون إلى وجهه وجلاله.

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: بهجته وغضارته ونوره؛ يقال: نضر النبات: إذا ازهر ونور، وقراءة العامة: ﴿ تَعْرِفُ ﴾بفتح التاء وكسر الراء﴿نَضْرَةَ﴾ نصبا؛ أي: تعرف يا محمد، وقرأ

---

(١) ضعيف : أبو داود (٣٩٨٧) فى الحروف والقراءات بنحوه وضعفه الألبانى هناك ، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه وبلفظه عن ابن عمرو .

(٢) صحيح : مسلم (٢٨٣١) فى الجنة ، عن سهل بن سعد .

(٣) بنحوه عند الطبرى (٣٠/ ١١٠) في تفسيره.

(٤) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا : ذكره سيد محمود الآلوسى (٩/ ٣٢٤) فى التفسير مقطوعًا على مقاتل .

أبو جعفر بـن القعقاع ويعقوب وشـيبة وابن أبي إسحاق: « تُعْرف» بضم التـاء وفتح الراء على الفعل المجهول « نُضْرةُ » رفعا [١]، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ أي: من شراب لا غش فيه، قاله الأخفش والزجاج، وقيل: الرحيق الخمر الصافية، وفي « الصحـاح»: الرحيق صفوة الخمر، والمعنى واحد، الخليل: أصفى الخمر وأجودها، وقال مقاتل وغيره: هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش النيرة، قال حسان:

يَسْقون مَنْ وَرَدَ البريصَ عليْهِمُ بَرَدَى يُصَفَّق بالرحيقِ السلسلِ

وقال آخر:

أمْ لا سبيلَ إلى الشباب وذكره أشْهى إلىّ من الرحيقِ السَّلْسَلِ

قوله تعالى: ﴿مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قال مجاهد : يختم به آخـر جرعة ، وقيل : المعنى إذا اشربـوا هذا الرحيق فـفنى ما فى الكأس ، انخـتم ذلك بخاتم المسـك ، وكان ابن مـسعود يـقول : يجدون عاقبتها طعم المسك [٢] ،ونحوه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخـعى قالا: ختامه آخر طعمه وهو حسن،لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر في آخـرها، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك وعن مـسروق عن عبـد الله قال: المختـوم الممزوج [٣]، وقيل: مـختوم أي: خـتمت ومنعت عن أن يمسها ماس إلى أن يفك ختامها الأبـرار، وقرأ علي وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي: «خَاتَمه » بفتـح الخاء والتاء وألف بينهما [٤]، قال علقمة: أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل خـاتمه مسكا، تريد آخره، والخـاتم والختام متـقاربان في المعنى، إلا أن الخاتم الاسم، والخـتام المصدر؛ قاله الفراء، وفـي« الصحاح»: والختام: الطين الذي يُخْتم به، وكـذا قال مجاهد وابن زيد: خُتم إناؤه بالمسك بدلا من الطين [٥].

حكاه المهدوي، وقال الفرزدق:

وبِتُّ أفُضُّ أغلاقَ الختامِ [٦]

وقال الأعشى:

وأبرزها وعليها خَتَمْ [٧]

أي: عليها طينة مخـتومة؛ مثل نَفْضٍ بمعنى مَنْفُوضٍ، وقبض بمعنى مَقْـبُوض، وذكر ابن المبارك وابن وهب، واللفظ لابن وهب، عن عبد الله، بن مسـعود في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: خلطه، ليس بخاتم يـختم، ألا ترى إلى قول المرأة من نسـائكم: إن خلطه من الطيب كذا وكـذا، إنما خلطه مسك؛ قال [أبو الدرداء]: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها [٨]، وروى أبي بن كعب قال:

(١) قراءة متواترة :انظر: تقريب النشر(ص٧٦).
(٢) حسن : الطبري (٣٠/ ١١١) ، وعزاه السيوطي (٦/ ٥٤٣) فى الدر المنثور لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم .
(٣) صحيح : الطبرى (٣٠/ ١١١) في تفسيره .
(٤) قراءة متواترة : انظر: تقريب النشر (ص ١٨٦).
(٥) صحيح إليها : انظر: الطبري (٣٠/ ١١٣) فى تفسيره .
(٦) عجز بيت وصدره : فيتن بجانبي مُصرعات
(٧) عجز بيت وصدره: وصَهباءِ طاف بهوديها
(٨) صحيح : الطبري (٣٠/ ١١١) في تفسيره .

قيل: يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟ قال: « غدران الخمر »[١]، وقيل: مختوم في الآنية، وهو غير الذي يجري في الأنهار، كالله أعلم، ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ أي: وفي الذي وصفناه من أمر الجنة ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: فليرغب الراغبون يقال: نَفِسْتُ عليه الشيء أَنْفَسُه نفاسة: أي: ضننت به، ولم أحب أن يصير إليه. وقيل: الفاء بمعنى إلى، أي: وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل؛ نظيره: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾[الصافات].

قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: ومزاجه ذلك الرحيق ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ وهو شراب ينصب عليهم من علو، وهو أشرف شراب في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل؛ ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور، وروي عن عبد الله قال: ﴿تَسْنِيمٍ﴾ عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا، ويمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب[٢]، وقال ابن عباس[٣] في قوله عز وجل: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ، وقيل: التسنيم عين تجري في الهواء بقدرة الله تعالى، فتنصب في أواني أهل الجنة على قدر مائها، فإذا امتلأت أمسك الماء، فلا تقع منه قطرة على الأرض، ولا يحتاجون إلى الاستقاء؛ قاله قتادة: ابن زيد: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش، وكذا في مراسيل الحسن[٤]، وقد ذكرناه في سورة «الإنسان»: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشرب منها أهل جنة عدن، وهم أفاضل أهل الجنة صرفا، وهي لغيرهم مزاج، و﴿عَيْنًا﴾ نصب على المدح، ، وقال الزجاج: نصب على الحال من تسنيم، وتسنيم معرفة، ليس يعرف له اشتقاق، وإن جعلته مصدرا مشتقا من السنام فـ ﴿عَيْنًا﴾ نصب؛ لأنه مفعول به؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤] وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسنيم، وعند الأخفش بـ ﴿يُسْقَوْنَ﴾ أي: يسقون عينا أو من عين، وعند المبرد بإضمار أعني على المدح.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وصف أحوال الكفار في الدنيا مع المؤمنين في استهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك، روى ناس عن ابن عباس قال: هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن

(١) ضعيف : ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٧) في تفسيره بصيغة التعريض فهو معلق ضعيف .

(٢) صحيح : الطبري (٣٠/ ١١٤) في تفسيره .

(٣) قال السيوطي (٦/ ٥٤٤) في الدر: «رواه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق يوسف بن مهران ، عن ابن عباس». قلت : فهو حسن لكونهم تكلموا في (يوسف بن مهران) على توثيق فيه .

(٤) مرسل : والحسن لم يدرك زمن النبي ﷺ ، وهو مدلس أيضًا .

أبي معـيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبـد يغوث، والعاص بن هشام، وأبو جـهل، والنضر بن الحارث؛ وأولئك ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أصحاب مـحمد ﷺ مثل: عمار، وخـباب، وصهيب، وبلال ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجه السخرية، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ عند إتيانهم رسول الله ﷺ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضا، ويشيرون بأعينهم، وقيل: أي: يعـيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به يقال: غمزت الشيء بيدي؛ قال:

وكُنْت إذا غَمَزتُ فتاةَ قوم كسرت كعوبها أو تستقيما

وقالت عائشـة: كان النبي ﷺ إذا سجـد غمزني، فقـبضت رجلي، الحديث؛ وقـد مضى في النساء[١]، وغمزته بعيني، وقيل: الغمز: بمعنى العيب، يقال غمزه: أي: عابه، وما في فلان غمزة أي: عـيب، وقال مـقاتـل: نزلت في علي بن أبي طالب جـاء في نفر مـن المسلمين إلى النبي ﷺ فلمزهم المنافقون، وضحكوا عليهم وتغامزوا.

قوله تـعالى: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا﴾ أي: انصرفـوا إلى أهلهم وأصحـابهم وذويهم ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: معجـبين منهم، وقيل: معجبـون بما هم عليه من الكفر، متـفكهون بذكر المؤمنين، وقرأ ابن القـعقاع وحفص والأعرج والسلمي: ﴿فَكِهِينَ﴾ بغير ألف، الباقون بألف[٢]، قال الفراء: هما لغتان مثل طمع وطامع وحَذِر وحَـاذِر، وقد تقدم فـي سورة «الدخان»والحـمد لله[٣]، وقيل: الفكـه: الأشر البطر والفاكـه: الناعم المتنعم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء الكفار أصـحاب محـمد ﷺ ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ في اتباعهم محمدا ﷺ ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ لأعمالهم، موكلين بأحوالهم، رقباء عليهم.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني هذا اليوم الذي هو يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفار منهم في الدنيا، نظيره في آخر سورة «المؤمنون »وقد تقدم[٤]، وذكر ابن المبارك: أخبـرنا محمد بن بشار عن قتـادة في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى؛ قـال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] قال: ذكر لنا أنه أطلع فرأى جـماجم القوم تغلي[٥]،وذكر ابن المبارك أيضـا: أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قـوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] قال: يقـال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم؛ فذلك قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فـذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾[٦] قد مضى هذا في أول سورة البقرة،

(١) صحيح : وقد سبق عند الآية (٤٣) من سورة النساء .

(٢) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٦٥) .

(٣) عند الآية (٢٧) .

(٤) عند الآية (١١٠) .

(٥) فيه انقطاع بين قتادة وكعب : ورواه الطبري (٣٠/ ١١٧) في تفسيره صحيحًا إلى قتادة .

(٦) هذا ضعيف جدًا : وتقدم عند الآية(١٤) من سورة البقرة .

ومعنى ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ أي: هل جوزي [الكفار] بسخريتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك، وقيل: إنه متعلق بـ «يَنظُرُونَ» أي. ينظرون: هل جوزي الكفار؟ فيكون معنى هل: وموضعها نصبا بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾، وقيل: استئناف لا موضع له من الأعراب، وقيل: هو إضمار على القول، والمعنى: يقول بعض المؤمنين لبعض: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾ أي: أثيب وجوزي، وهو من ثَاب يَثُوب، أي رجع؛ فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله، ويستعمل في الخير والشر.

تمت السورة والله أعلم.

obeikandl.com